

تظاهرة أميركية ضد الحرب، سان فرانسيسكو ٢٩ آب ١٩٩٠

حرب الخليج الثانية في الشعر الأنكلوأمريكي

ترجمة وتقديم: سعدي سماوي

ديوجين متحدّين ظلماً غربياً، محتجّين على قصف العراق. تلك الأقلية، الراضة للأكثرية، ما زالت تُقبض، مثلي، على البقية الباقية من إيمانها بالإنسانية كما تقبض على جَمْرَةٍ وكتب وشعر وصلوات في وجه التكنولوجيا البربرية.

ولكنّي، من موقعي الضعيف، من تحت الصفر، من جمرة إيماني التي تكاد تخبو في قبضتي ويعلوها الرماد، أتساءل: ماذا فَعَلَ الشعرُ - وهو كلامٌ يبذو للفاشست غير جميل، نشازاً، وغير موزون، ولا مقفَى - في

وفيما كنت أعمل على ترجمة هذه القصائد محاولاً أن أبني، بكلّ البقية الباقية من إيماني، أواصرَ بين الإنسانية الأميركية والإنسانية العراقية، بدأتِ الصواريخُ الأنكلو - أمريكية تمزّق، مرةً أخرى، سماءَ العراق، وبدأ الشَّعْرُ يهطل مع الدم. في عدد من المدن الأميركية تجمّع المغضوب عليهم والضالون من المجتمع الأمريكي، تجمّع الأجذم والأقرع والأبرص والمتشرّد والمثليّ والشيعويّ، مكوّنين، رغم البرد، مظاهرات صغيرة تحمل شموعاً مثل شموع

عواصم الأعداء ومدنهم، مَنْ يُعجب بشجاعتهم، وصبرهم، وقدرتهم المدهشة على الاستمرار في وجهِ كونٍ معادٍ، أو على الأقل غيرٍ مبالٍ. فمنذ زمن طويل والعراقيون يعيشون مع أقل ما يُمكن من الأصدقاء وأكثر ما يمكن من الأعداء.

وبترجمتي ونشري لهذه الأشعار التي تحتفل بالإنسان العراقي وبحضارته ويتحمّله الأسطوري، فإنني ضمنناً أسجّل اسمى آيات الإعجاب بأبناء شعبي النبيل.

ترجمة هذه القصائد المعادية للحرب هي جزء من مشروع أكبر أنوي فيه أن أترجم ما نُشر بالإنجليزية عن الحرب ضد العراق. وأعتقد أنّ هناك فائدةً سياسية وحضارية في ترجمة ما كُتب عن العراق في الغرب.

ففي هذه المرحلة الراهنة التي تشهد تحالفاً مثالياً بين قوى الهيمنة الأميركية وقوى الرجعية والفاشية في الشرق الأوسط يحقّ للعراقيين في مأساتهم الحاضرة أن يعرفوا أنّ هناك، حتى في

إن ماكنة الدعاية الأمريكية تسيطر سيطرةً شبة تامة على تفكير معظم الشعب الأمريكي. وهؤلاء الشعراء الذين يقفون ضد سياسة حكومتهم يشككون عدداً ضئيلاً جداً وهامشياً جداً، بحيث أن شعرهم لا يُطبع ولا يُنشر على نطاق واسع وفي المجالات الكبرى. فمثلاً قصائد مينا ألكزاندر، وجان كلوسن، وهلدا مورلي نُشرت في كتاب صغير مطبوع على الآلة الكاتبة وصادر عن منظمة صغيرة ضد الحرب:

Peace Pieces From the Gulf War: A publication of the Ad Hoc Committee for Peace and the Center on Violence and Human Survival, John Jay College, CUNY.

طبعاً، من الصعوبة بمكان توزيع كتاب كهذا على نطاق واسع، وذلك لسببين مهمين: الأول، أن المنظمة فقيرة لا تملك إمكانات التوزيع. والسبب الثاني هو أن معظم النقاد البارزين في الحياة الأدبية الأمريكية هم أناس محافظون يخدمون النظام بطريقة مهذبة وغير مباشرة، ويرفضون الشعر السياسي بحجة أنه سياسة لا شعراً! ونظرية الجمال الأدبي عند هؤلاء النقاد تكاد تكون مماثلة لنظرية «الفن من أجل الفن». ومع ذلك، فإن قراءة دقيقة للقصائد المترجمة هنا لا يمكن أن تتجاهل الخيال الشعري الذي يفرض نفسه حتى من خلال الترجمة. ومما لا شك فيه أن القصائد المترجمة تختلف في

ضد الحرب. وعليه فإن القيمة الفنية والجمالية، كما هي الحال في شعر المناسبات وشعر الدعاية السياسية، تصبح ثانوية تحت وطأة القيمة السياسية والأيدولوجية. يضاف إلى ذلك أن هذا الشعر موجّه إلى جمهور أمريكي وغربي مشبع، منذ قرون، بالدعاية الفعالة ضد العرب والشرقيين والمسلمين. والشاعر الأمريكي يواجه صعوبة بالغة في إيجاد جمهور يتعاطف مع العرب.

وفي مثل هذا الواقع المعادي، يصبح مجرد تأييد أي قضية عربية أو إسلامية في الشعر الأمريكي علامة على التمرد على السلطة وعلى الواقع. يضاف إلى ذلك أن مجرد ذكر حقائق بديهية عن إنسانية العرب والمسلمين ودورهم في التاريخ، في وجه التشويه والجهل المصنوعين تكنولوجياً، يُمَنح القصيدة الأمريكية، تلقائياً، بعداً تمردياً وشعرياً يلهب خيال الأقلية الأمريكية المستتيرة.

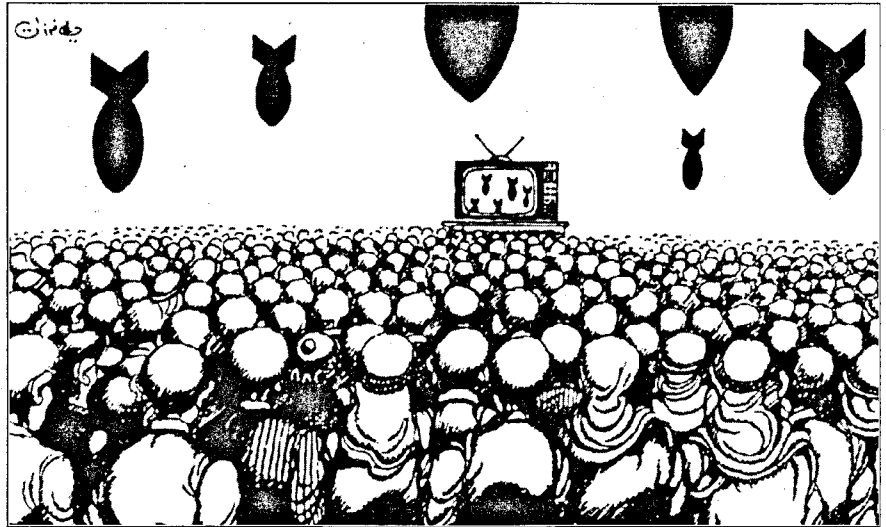
الشعراء الأمريكيين والبريطانيين تضامنتها مع أطفال العراق، ومع نساء العراق، مع طيوره ومع نخيله. ولكن ما نفع ذلك فعلياً وعملياً؟ هل يستطيع الشعر، أمريكياً أو بريطانياً أو عربياً، أن يهدئ روعة طفل، وأن يُشبع طفلاً؟ أن يطفى الصواريخ في سماء العراق ويعيد إليها نجومها وقمرها وظلامها ونومها؟

لا أقولها بالأم عراقي، إن الشعر لا يُغني ولا يُشبع من جوع ولا يحمي من صاروخ. غير أن الشعر، كالدين كما راه ماركس، قد يكون أفيون الشعوب، ولكنه في الوقت نفسه حسرة المظلومين وروح عالم قاس لا روح فيه. إن الشعر، كالدين، يمنح أملاً وقوة لمن لا قوة له.

*

يستطيع القارئ أن يلاحظ أن بعض هذه القصائد، مكتوبة من أجل التحريض وإثارة المشاعر

وجه الصاروخ، الخراب الموجّه الموزون والمقفى بالليزر؟ وقبئنا كتنب ملك الشعراء، إمبراطور اللغة وعدو الخراب، شكسبير متسائلاً برعب: من أين للوردة - وجمالها يكمن في رقتها - أن تقاوم العفن؟ والعفن الأنكلو - أمريكي ليس كالعفن الطبيعي الذي رعب شكسبير واستنفر كل جماله الشعري. بل العفن الأنكلو - أمريكي تركيبية مركزة من أسوأ ما في خيال أسوأ البشر ومن أخطر ما في قوى الطبيعة. إن الطفل العراقي من الصف الثالث الابتدائي - على نحو ما عرض التلفزيون الأمريكي أثناء القصف مؤخرًا متباهياً بشكل مرّضي بقوة الأمريكيان -... أقول: إن هذا الطفل الذي بدأ يتقيأ عندما رأى الصواريخ، دان وإلى الأبد حضارة التكنولوجيا، صناعة الخوف والقي. وبينما يتقيأ أطفال العراق على جوعهم، تغنى أقلية، قليلة جداً، من



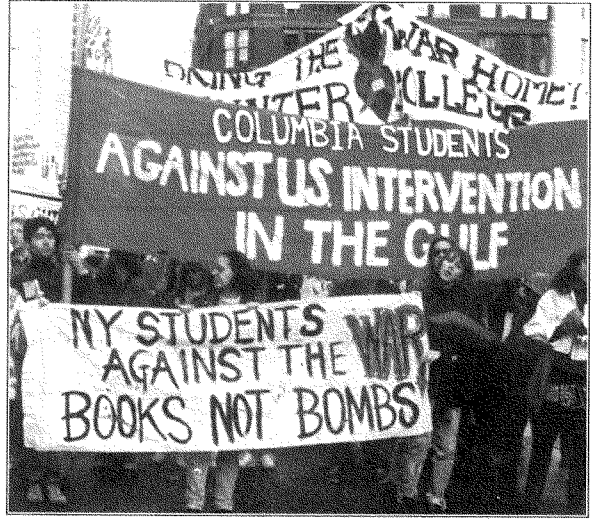
شاهد أكثر، تعرف أقل!

أوكالبتوس

منا إلفن (ويلز)

منا إلفن Menna Elfyn شاعرةٌ معروفةٌ في ويلز وبريطانيا وعموم أوروبا، لها خمسُ مجموعاتٍ شعرية. وهي أيضاً معروفةٌ بنشاطها السياسي والثقافي من أجل استقلال ويلز من السيطرة البريطانية. وقد اعتُقلتُ وسُجنتُ عدة مرّات بسبب نشاطها هذا. وقصيدتها المُنبتة هنا، والمنشورة في مجموعةٍ لها بعنوان Eucalyptus عام ١٩٩٥ عن منشورات كوسمر في ويلز، تُظهر كيف أصبحت شجرة الأوكالبتوس - بفعل صورٍ حسّاسةٍ دقيقةٍ - رمزاً للمقاومة والعطاء في وجه القوى المعادية للحياة.

قبل أن أراها في لشبونة،
كانت لي مجرد اسمٍ:
أحسن دواءً للزكام،
حلواً كاذباً
يخلّص الصدر
من حشْرَجته.
...
ولكن، اليوم، غدت تلك
البِتَلاتُ يافطاتٍ:
تَهَبُ كُلُّ النَّاسِ احتفالاً ماثلاً،
غدت أشجاراً وديعةً لا تُؤثِّرُ
شعباً محدداً
ولا أرضاً بعينها.
...
الدَّفءُ يتصاعدُ من عروقها
زيتاً يضيء العالم،
وشحماً في قِصعة
وعائلةٍ أُطعمت.
...
شجرة الأوكالبتوس الذهبية
بِقِيَّتْ،
ولكنها لم تسقط.
جهنم انفجرت في كلِّ مكان،
ولكن الشجرة واصلت تقديم
الطعام
خالقةً مائدةً من البركة....
أوليس من أجل هذا نواصلُ
العيشَ
من وجبة طعام جاهزة إلى
وليمة حُبٍ:
إيقاعات ماءٍ لحناننا
وقوافي قوتٍ على كل شفة؟
...
تلك القطرات التي أُطْلقت ذات
لحظةٍ
قَدراً مؤاتياً للتعساء،
أفاحت عطرها
أبدُخ عطاء،
يُعطي كلاً حَسَبَ حاجته.
...
وفي ليلةٍ باردةٍ مثل جثّة
تكون الأوكالبتوس
هي ما تشمُّه
تلك الملاجئ والأصحابُ
المجتمعون
وسَطُ اغتصابٍ وأنقاض.
...
ذلك الزيت البسيط
الذي أبقى لي يوماً قدرةً على
التنفس
يَشعُ الآن كالضوء
فوق حيواتٍ مسودة.



من تظاهرة لطلاب جامعة كولومبيا، نيويورك، ١٧ كانون الثاني ١٩٩١

بشاعة الحرب أكثر مما راه الأمريكي من خلال وسائل الإعلام. ولكن هذه البساطة تتعمق فجأة عندما نلاحظ أن الخيال الشعري في هذه القصائد يتجاوز شاشة التلفزيون الأنيقة، ويُدخل ساحة الحرب الفعلية متفاعلاً مع القتلى والجرحى والمذعورين. وهذا الخيال الإنساني والأخلاقي الذي يربط الشاعر الأمريكي عاطفياً بالإنسان العراقي أو الكويتي في ساحة الحرب هو الذي يمنح الهوية الشعرية لهذه القصائد الشجاعة. إنها شجاعة لأنها تتحدى محيطاً من الإعلام الكاذب، ولأنها تحطم التلفزيون الأمريكي لترى الألم العراقي، ولأنها تقف ضد حضارتها كما وقف كل أبطال التاريخ من سقراط حتى نعيم تشومسكي.

س.س

(كلية غرينيل، الدائرة
الإنكليزية، ولاية أيوا،
الولايات المتحدة
الأميركية)

مستواها الفني وفي رؤيتها السياسية. وإذا ما أردت أن أبتن موقفي من هذه القصائد، فإن أفضلها بالنسبة إلي هي قصائد مينا ألكزاندر، ومينا ألفن، وهلد مورلي. وهذا طبعاً لا يعني أن القصائد الأخرى غير جميلة، ولكنها (من وجهة نظري) أقل جمالاً ودقة تصويرية وتعبيرية.

*

جانب آخر مهم أحب أن أوضحه، وقد ساهم في تكوين الرؤية الشعرية في هذه القصائد. وهو أن كل هؤلاء الشعراء جربوا الحرب من خلال التلفزيون والراديو والجريدة، فجاءت تجربتهم محدودة بهذه الوسائل الاتصالية. ووسائل الإعلام هذه تخاطب بشكل مباشر العين والأذن، وتلغي الحواس الأخرى كالشم واللمس والذوق. وكما هو معروف، فإن وسائل الإعلام ترشح الأخبار وتنظف الجريمة من الدم وبشاعة المناظر. وهذا يفسر بساطة هذه القصائد كما تبدو للقارئ العربي، الذي رأى من

بعد مسيرة النصر الكبرى

ألن غنزبرغ (الولايات المتحدة)

يُعتبر ألن غنزبرغ Allen Ginsberg، الذي توفي قبل عامين، أحد مؤسسي شعر الرفض الأميركي منذ الخمسينات، وقد سُميت تلك الحركة الشعرية بـ Beat Generation؛ وهي تعني -بالإضافة إلى معانٍ روحية أخرى-: الجيل الرفض، والغاضب، والسعيد بكونه مرفوضاً. وهذه القصيدة تسعى إلى تعرية مسيرات النصر التي تنظمها الحكومة الأميركية للاحتفال المرّضي بقتل الأمم الأخرى. وأسئلة القصيدة تتضمن إجابتها، وتكشف عن حاجة معظم أفراد الشعب الأميركي إلى الاحتفال والابتهاج والشعور بالقوة... ولو على حساب الآلاف المؤلفة من الضحايا البريئة.

ملايين الناس في مانهايتن
يهلّون ويرفرفون الأعلام فرحاً،
عادوا البارحة إلى أعمالهم والتهاب مفاصلهم،
واليوم هو الثلاثاء.
ما الذي أحوّجهم أخيراً إلى ذلك القدر العظيم
من العاطفة المشبوبة،
وإلى كل تلك الغبطة المتبادلة؟
هل سيسترجعون قَطُّ تلك الساعات من النشوة الملونة
بخصاصات الحرب من جديد؟
هل نسوا أنّ أروقة الموت هي التي صنّعت مثل ذلك
الانتصار؟
هل سيكون متناً ألف قتيلٍ آخر في الصحراء
عبر العالم
سبباً في احتفالٍ قادم؟

كانون الأول ١٩٩١

لوسيل كلفتن (الولايات المتحدة)

لوسيل كلفتن Lucille Clifton شاعرة أميركية سوداء، ولدت سنة ١٩٣٦ في نيويورك، ونشرت العديد من المجموعات الشعرية التي حازت عدة جوائز أدبية. في هذه القصيدة، من ديوانها المعنون The Book of Light الصادر في واشنطن عام ١٩٩٣ عن منشورات كوبركانيون، تحاول الشاعرة أن تفضح العنصرية الأميركية ضد السود، والحرب الأميركية ضد العراقيين في الوقت نفسه. وهي، شأنها شأن معظم الكتاب الأميركيين السود، ترى أنّ الحرب المذكورة استمراراً لحرب الجنس الأبيض ضد الأجناس الملونة.

لقد أرسلوا وادنا إلى الحرب
ليلق نفسه بالرّمال..
وَدنا الذي عبّد طوال حياته
بشرة شاحبة وبارزة
كالسماء^(١)...
وَدنا الذي مارس الاسم
الفعلي للرب
ويظنّ أنّه صورة طبق الأصل
عن آدم.
نعم، أحسن أولادنا هناك،
مع أخته ذات العين البراقة.
كلاهما ينتظران بين كُثبان
الرمل،
البعيدة عنا بُعد المريخ،
أن يُلغيا أجفاناً سمراء محجبة
لأناس ليسوا من جلدتنا.

فهم، الذين ليسوا إيانا، لا
يملكون حياةً جديرة
باحترامنا،
ولا سماء تغنينا،
ولا كلمة للرب يُمكننا أن
نلقظها.
إننا لا نعرفهم،
ولا نريد أن نعرفهم،
ولا نريد هذا السهر طوال
الليل
على امتداد هذه المقاطعة
الصخرية القاحلة^(٢)
نحلم بالصحراء لأول مرة،
وبالموت،
وبولادنا وبأختها،
وبهم وبنا!

١ - إشارة إلى أنّ السود عامة يرون في البيض ضعفاً في الجسم والروح، ولهذا يقولون إنّ بشرتهم شاحبة أو صفراء. و«بروز» السماء إشارة مجازية إلى التكبر الذي تتصف به الحضارة البيضاء. (المترجم)

٢ - لعل ذلك إشارة إلى مقاطعة في ولاية فرجينيا في الولايات المتحدة حيث تعيش الشاعرة. (م)

مينا الكزندير (الولايات المتحدة)

دان رص (الولايات المتحدة)

Meena Alexander هي مدرسة الأدب الانكليزي في كلية هنتر في نيويورك. في هذه القصيدة، تحاول الشاعرة أن تستحضر السياب في وجه الحرب الأميركية على شعبه. ولعلها تماهي بين السياب والحبيب، وتفصح عجز الترجمة عن إيصال المعاناة العربية.

دان رص Don Russ يدرّس الأب الإنجليزي منذ سنة ١٩٨١ بعد حصوله على شهادة الدكتوراه من جامعة جورجيا. وقصيدته «رؤيا ليلية»، المنشورة في مجلة Share الصادرة عن جامعة Kennesaw State في ربيع ١٩٩١، تحاول أن تفصح «الأنافة الجمالية» التي وصفت شبكة CNN بها الحرب الأميركية على العراق. و«رص»، المعروف بإيحائيه وإيجازه، يشهر القصيدة انتصاراً للحقيقة في وجه التلفزيون.

في آخر الليل، وعلى فراشٍ
متعدّد الوسائد،
قرب شباكٍ يُطلّ على شارعٍ
منّ عل،
قرأت لي، وحلقات لغتك الأمّ
خسنة بالرغبة ومضاءة بالآلم،
عن شاعرٍ علّيه أن يزحف إلى
باب الله.

علّق الحليب المحروق!
...
لكي آتي إليك، وأتمدّد على
هذا السرير المتعدّد الوسائد،
في حجرة بيضاء تُطلّ
على شارعٍ منّ عل،
قشرتُ فخذِي من جدار
وجلدّ فمي من أعماقِ ثلاجّة.

ما يحدث لا يحدث هنا. بل إنه لا يحدث الآن. إنه يحدث
إلى الشرق من هنا،
يحدث غداً: نارٌ بيضاء على شكل خيوطٍ، وخرنُ نُقط تُطلق
هناك وتغرّق في بحرٍ من هواءٍ أخضر، وقاعٌ هذا البحر
شوارعٌ تحته تُزهّرُ نوراً.
إنه لمنظرٌ خلّابٌ حقاً،
وإنه لحلمٌ.

«مُنطرحاً أمام بابك الكبير
أصرخُ في الظلام أستجيب»^(١) -
لا، تلك القصيدة أقربُ إلى
صرخة، أضرتني من صنيحة.
لقد كان المترجمُ اللطيف ممّا
ينبغي، فلم يُصيب الهدف.
...
وواصلت القراءة بلغة قبّاني،
وأدونيس، ودرويش،
وبمقاطع لغتك الأمّ،
وكانت صحارى نجدٍ
تهتزُّ في خيالك،
في حين كنتُ أتوقُّ إلى أن
أبكي على طريقي النسائية.

وسط الحرارة المفاجئة
سأراقبُ رجالاً ونساءً مسنّين،
وجنوداً ومدنيين يزحفون،
وسيارات الإسعاف تخترقُ
أضواءَ المرور المحطّمة
ومحطّات القطار النفقي المغلقة
بالجنازير
نحو بوابة البلاط.

...
هل يمنحُ بابُ الله ملاذاً؟
«أريد أن أموت يا إله!»
- هكذا تنهي قصيدتك يا بدر
شاكر السياب. أتعلم ذلك؟
...
«مطبّخ الجحيم»
الا ترى؟ لقد أُطلق «ياما»^(٢)
ثملاً، والقواريرُ تنشقُّ من
تحت قدميه،
وهناك سيربورس^(٣) يلحق

دماغِ الله.
غبارُ «أكاد» و«أور»،
غبارُ كلِّ شيءٍ، غبارُ ما سيأتي، غباري أنا: فجأة في
الضوء البحريّ المُحبَّب هذا أعدو لا شيء.
وأحسُّ، على نحوٍ ما، وكأنتي أغرقُ!

١ - من قصيدة السياب «أمام باب الله»، وقد ترجمتها الشاعرة إلى الإنكليزية. (م)

٢ - إله الموت في الأساطير الهندية. (م)

٣ - كلبٌ بثلاثة رؤوس، يحرس باب الجحيم، في الأساطير الاغريقية. (م)

بلا عنوان

هدلا مورلي (الولايات المتحدة)

هدلا مورلي Hilda Morley لها مجموعتان شعريتان . القصيدة المترجمة هنا، وعنوانها Untitled، تأمل شعري رقيق ونفاد في ما عرّضه التلفزيون الأمريكي من مشاهد حرب الخليج، وتصويراً لمأساة الإنسان العراقي من خلال مأساة الطيور البيضاء المسالمة التي قتلها البترول المتدفق من الآبار المقصوفة أثناء الحرب .

انذاك كُتبت: ها هو البلشون الثلجي [البياض]
الأشدُّ بياضاً من الغيوم، ومن الرّيد،
يُشاهدُ للمرة الأولى^(١).

...
والآن،

بعد تلك اللبالي المزعّعة، [أجد] جسدي
مغطى بالرماد، وأدرك أن سيأتي خرابٌ أعظمٌ
ويُنزلُ دماراً وتحطيماً أشدّ،
ولا صرخةً فزع تُسمع،
إلا تلك المرأة تصرخ راکضةً نحونا أمام الشاشة:
«نحن بشرٌ أيضاً!»
وتتجمدُ هناك إلى الأبد.

الغطاسُ، والفاقُ، والبلشون^(٢) الآن

بلا كلمات، وعاجزةٌ عن الصراخ أو الكلام،
عُلقتْ بموتها الأسود^(٣).

عيونها وحدها ما زالت حيّة،
فريشها وسيقانها الدقيقة وزغبها التي كانت مخالِبَ حيّةٍ
ذات يوم

قد غدت صنّاراتِ صيّدٍ سوداءٍ يموتُ عليها طيراتها؛
وتوايبيتها^(٤)، التي ما زالت حيّة، راحت تتصلّب!

١ - إشارة إلى طيور الماء البيضاء في الخليج العربي، والتي بدأت تموت بعد أن غطاها البترول المتدفق من الآبار المقصوفة أثناء حرب الخليج. شبكة CNN استمرت تعرض صور هذه الطيور طوال أيام الحرب. (م)

٢ - طيور مائية. (م)

٣ - إشارة إلى البترول الذي غطى السواحل أثناء الحرب. (م)

٤ - كأن أجسادها صارت توايبت. (م)

بئر النفط المتدفق

جان كلوسن (أمريكا الوسطى)

جان كلوسن Jan Clausen تكتب الشعر والرواية والمقالة، وهي من الناشطات في الحركة النسائية في أمريكا الوسطى. وقصيدتها المترجمة هنا، وعنوانها Gusher، تنطلق من أهمية نפט الشرق الأوسط للحياة الأميركية في جميع مستوياتها، وتستخدمه بعمان متعددة اقتصادية وسياسية وحضارية وجنسية ووجودية، في سخرية مرّة غاضبة.

على أجنحةٍ من نפט، من نפט^(١).

ويأذرع من نפט، واجباتنا الأخلاقية من نפט،

عبر سماواتٍ من نפט، رتابتنا، تفاهتنا، من نפט

وفي حلمٍ من نפט. جهدنا من نפט،

خَبَرْنَا نَفَط، راحتنا ...

زيدتنا ...

عِناقنا ... إدماننا، إبرةٌ تَخْدُرنا،

... أفيوننا، سرعنتنا ..

احتمالاتنا نפט، بَطَرْنَا الممتلئُ والمتطلّبُ من نפט،

دُرَيْتْنَا نَفَط،

جلجامشتنا وأديستنا من نפט،

جننتنا من نפט، هو القضيبُ المندفعُ بقوة

السوق بين سيقاننا المدفوعةِ منتزّهنا، بقصوره المضاء..

ضواحيننا من نפט، شهرتنا، نكاحنا، قوتنا

أكراحتنا .. جحيمننا، عُقْمنا، فضيلتنا نפט

بريتنا العاوية.. شهيتنا

طرقنا السريعة من نפט، فم على نهد

شارعنا القرميدي الأصفر صبُّ نَفَطٍ على نَفَطٍ ملتهب!

١ - إشارة إلى قصة، أنتجت فيلماً، بعنوان ساحرة أز، حيث يكون الشارع القرميدي الأصفر رمزاً للآمال وتحقيق الرغبات. (م)

بعد إعلان نائب رئيس الوزراء العراقي مقتل عشرين ألف عراقي بنار الحلفاء في أقل من أربعة أسابيع

باتريك كولم = هوغن (الولايات المتحدة)

باتريك كولم - هوغن Patrick Colm - Hogan شاعرٌ وناقد، وُلِدَ في ولاية ميزوري سنة ١٩٥٧ وحصل على دكتوراه من جامعة نيويورك في بافلو، وهو يدرّس الآن الشعرَ والنقدَ الأدبي في جامعة كونيتيكت. قصيدته المترجمة هنا نُشرت في المجلة اليسارية الأميركية The Minnesota Review، في العدد ٣٨، ربيع / صيف ١٩٩٢.

في بغداد
صحفيٌ أمريكيٌّ يعود إلى
ركامٍ أحد الملاجئ المدمرة.
وبينما هو يطوف حول
الصخورِ والأنقاضِ المتناثرة
يتقدم رجلٌ نحوه،
ويسلمه خمسَ هويات
شخصية.
الهويات تحمل صوراً:
إحداها صورةُ امرأةٍ شابةٍ،
امرأة عادية، ليست جميلةً
ولا قبيحةً؛
وثلاث صور لأطفالٍ، أطفالٍ
عاديين أيضاً، مثل أيِّ أطفالٍ
آخرين؛
والهويةُ الأخيرةُ هويةٌ وليدٍ لم
يصوّر بعدُ.
«أنت صحفي»،
أوضح الرجلُ،
«أريدك أن تكتب تقريراً عن
هذا. أريدك أن تكتب كلَّ اسمٍ
في صحيفتك،
أريدك

أن تكتب أن زوجتي وأطفالي
قد قُتلوا في هذا الملجأ
وأريد على الأقل أن يُذكروا».
والآن، بعد أن سمعنا هذه
الحكاية،
يمكننا أن نتصور:
خمسَ جثثٍ سُحبت من تحت
الركام
خمسَ ماتم؛
يمكننا أن نتصور
رجلاً في بيته
أو في الشارع
يحدّق إلى خمسَ فضاءات
فارغة
وسط الوضوح الوحشي
للاشياء حوله..
وغرفة،
وكرسياً.
ولكن الآن
تصوّر عشرَ جثثٍ،
عشرة ماتم،

عشرة فضاءات فارغة.
والآن تصوّر خمسين،
مائة
خمسائة، ألفاً..
تصوّر ألفَ جثة
الفَ ماتم،
الفأ من الرجال
والنساء
والاطفال؛
أشخاصاً عاديين
تحوّلوا في لحظة واحدة إلى
أشكالٍ مشوهةٍ
من إنتاج خيال العصور
الوسطى
صدورهم مهشمة وممزقة
جماعهم مفلوعة
أعضاؤهم منحرفة
ولحمهم مشويٌّ
عليه دمٌ يابس،
دونما نفسٍ يتمددون
في قبورٍ طويلة تمتد
في البعد.

الآن تصوّر
الفضاءات الفارغة الألف:
عاشقٌ يدخل فجأةً إلى رواقٍ،
أخٌ يمرّ بباب مدرسة،
أمٌ تتلبّث قرب بسطة خضار.
تصوّر هذا الأمر مضاعفاً
عشرات المرات لكل واحدٍ
من أولئك الأشخاص الألف.
والآن تصوّر ألفاً آخر من
الناس يُحرقون أحياء
في اليوم القادم.
وفي اليوم الذي يليه،
واليوم الذي يليه.
جثثٌ جديدة، ماتمٌ جديدة،
ناديئون جدد.
الحقل مفروشٌ بجثثٍ جديدة
كلُّ صباحٍ جديد.
أميالٌ وأميال من الموت،
وفي المدن والبيوت،
تصوّر كيف ينمو الفراغُ
العريقُ الصغيرُ^(١)
مزدهجاً بالغياب!